الرسالة

(١ كورنثوس ٤: ٩–١٦)

يا إخوةُ إنَّ اللهَ قد أبرزَنا نحنُ الرسلَ آخِرِي الناسِ كأنَّنا مجعولونَ للموت. لأنَّا قد صِرنا مَشهداً للعالم والملائكةِ والبشر* نحنُ جهَّالٌ من أجلِ المسيحِ أمَّا أنتُم فحكماءُ في المسيح. نحنُ ضُعفاءُ وأنتم أقوياءُ. أنتم مُكرَّمون ونحنُ مُهانون* وإلى هذه الساعةِ نحنُ نجوعُ ونَعطَشُ ونَعْرَى ونُلطَمُ ولا قرارَ لنا* ونَتعَبُ عامِلين. نُشتَمُ فَنُبارك. نُضطَهدُ فنَحتَمِل* يُشنَّعُ علينا فَنَتضرَّع. قد صِرنا كأقذارِ العالَمِ وكأوساخٍ يستخبِثُها الجَميعُ إلى الآن* ولستُ لأُخجِلَكُم أكتبُ هذا وإنَّما أَعِظُكُم كأولادي الأحبَّاء* لأنَّه ولو كانَ لكم ربوةٌ من المُرشِدينَ في المسيحِ ليسَ لكم آباءٌ كثيرون. لأنّي أنا وَلَدْتُكم في المسيحِ يسوعَ بالإنجيل* فأطلبُ إليكم أن تكونوا مقتدينَ بي.

رقاد السيدة

تُعيِّد الكنيسة المقدَّسة في الخامس عشر من شهرِ آب، لتذكارِ رقاد سيِّدتنا والدةِ الإله الدائمة البتوليَّة مريم. صفاتٌ كثيرةٌ تنسبُ للعذراءِ مريم بدءًا بنبوءاتِ العهدِ القديم، وصولاً إلى العهدِ الجديد. فكلُّ التدبيرِ الخلاصي تمَّ التحضيرُ له، لأنه «لمّا جاء ملءُ الزمان أرسلَ الله ابنهُ مولودًا من امرأة مولودًا تحتَ الناموس، ليفتدي الذين تحت الناموس، لننالَ التبنِّي» (غلا ٤: ٤–٥). وما ملءُ الزمانِ سوى جهوزيَّة الخليقة لقبول الخلاص بالمسيح يسوع، وهذا ما يشهدُ له التاريخ.

أمَّا مريم فكانت ثمرةَ التحضيرِ لهذا الخلاص، فدُعيتْ بحسبِ النبوءات العذراء التي تلد (اش ١٤:٧)،وتابوتِ العهد (خر٢٦)،إذ هي من حملتْ صاحب العهد، والمقدس (خر ٢٥:٨) لأنها حوتْ في أحشائها صاحب الشريعة نفسه، والكرمة غير المزروعة من يدٍ بشريَّةٍ التي تعطي عنقودًا إلهيًّا (مز ٧٩: ٩–١٦)، والعنقود الحيَّ المعطي الحياة، وباب حزقيال المُغلق إذ إنَّ الباب المغلق هو دليل البتوليَّة (حز ٤٤:١–٣).

وهناك صفاتٌ أخرى كثيرةٌ للتي ستلدُ الخلاص الآتي لجنسِ البشر.

أمَّا في العهد الجديدِ فلا نجد التركيز على العذراء مريم، لأنَّ هدف الإنجيل هو إعلانُ البشارة الجديدة للحياة الأبدية. ومركزيَّة الإنجيل هو يسوع المسيح مانح الخلاص والحياة الأبدية. وهذا ما تعلنه العذراء مريم في إنجيل يوحنا في عرس قانا الجليل، إذ إنَّها توجِّه أنظارَ البشر نحو طاعة ابنها ومخلِّصها قائلةً «مهما قال لكم فافعلوه» (يو ٢: ٥).

العدد ٢٠٠١/٣٢

الأحد ١٢ آب

تذكار القديسين الشهيدين

فوتيوس وأنيكيتس

اللحن الأول

إنجيل السَحَر العاشر

كانت العذراء أمًّا حقيقيَّةً ليسوع بحسب الجسد. أليستْ هي من أعطتهُ من أحشائها جسدًا، وحملتهُ تسعةَ أشهر؟ حتَّى أنَّ الرب يسوعَ كان مطيعًا لأمِّه بالجسد ولأبيه بالتبنِّي يوسف في كلِّ شيء (لو ٥١:٢). تابعت العذراءُ مراحلَ بشارة ابنها بصمت، من خلال تنقُّلها معه في كفرناحوم مثلاً (يو ١٢:٢)، وقد أعلن لوقا الإنجيلي: «وكانت أمُّه تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها» (٥١:٢). وفي عرس قانا الجليل، ورغمَ قوله «لم تأتِ ساعتي بعد» (يو ٤:٢)، أتمَّ المسيح رغبة أمه مُحوِّلاً الماء إلى خمر (راجع يو ٢: ٦–٩). حتى أنَّ الرب في خضم آلامه الخلاصيَّة على الصليب لم ينسَ أمَّه، بل

أوكل الرسول الحبيب يوحنا الإنجيلي بها قائلاً له: «هوذا أمك. ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته» (يو ١٩:٢٧).

عاشت العذراء، حسب التقليد، إثنين وعشرين عامًا بعدَ صعود الرب. ثم رقدَتْ بحسب إعلان الملاك لها، فاجتمع الرسل من أقطار المسكونة ليشيِّعوا الجسد الطاهر، ويدفنوه كما يليق بأمِّ إلههم. ولكن، كيفَ لأمِّ الحياة أن ترى فسادًا؟ لذلك أقامَها ابنُها ومخلِّصها وربُّها في اليوم الثالث من القبر على صورة قيامته الخلاصيَّة، وأهلَّها لتكونَ عن يمينه في المجد. ألم ينبئنا كاتبُ المزامير بذلك قائلاً: «جُعِلَت الملكة عن يمينك بذهب أوفير» (مز ٤٥:٩).

رقدت العذراء أولاً لأنها من نسل آدم المائت. وأيضًا لأن حبَّة الحنطة لا تثمرُ إن لم تمُت في الأرض أولاً، حينئذٍ تأتي بثمر كثير. وإذا كان الرب الإله المتجسِّد ماتَ أولاً على الصليب ومن ثم قام من الأموات لخلاصنا، فهل من الممكن أن ينتقل أحدٌ من الجنس البشري إلى الحياة الأبديَّة دون المرور بالموت أولاً. قال الرسول بولس: «...لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع. ولكنْ كل واحدٍ في رتبته. المسيح باكورةٌ ثم الذين للمسيح في مجيئه» (١كور ١٥: ٢٢-٢٣). فابن الله تجسَّد من العذراء مريم وأصبح إبنًا للإنسان وقابلاً للموت. أمَّا مريمُ فصارت أمًّا لله وحصلت على مجدِ حُسْن البهاء. وما هذا الأمر إلاَّ لأنَّ العذراء كانت مطيعةً بتواضعٍ لشريعةِ الرب، فكانت خادمةَ السرِّ الخلاصي، سرِّ التجسُّد. القديس يوحنا الدمشقي يعلِّق على انتقال العذراء فيقول: «في الواقع، إنَّ هذا المسكن اللائق بالله، والينبوعَ غير المنقوب بيدٍ، الذي منه ينبجس الماء الغافر الخطايا، والأرضَ غير المحروثة المثمرة الخبز السماويّ، والكرمة التي أعطت خمر الخلود دونما سقاية، وزيتونةَ رحمةِ الآب الدائمةَ الإخضرار ذاتَ الثمار البهيّة، كان يجب ألاّ تقاسي اعتقال لجج الأرض لها. بل كما أنّ الجسد المقدّس الطاهر الذي بواسطتها وحّده الكلمةُ الإلهية بأقنومه قد قام من القبر في اليوم الثالث، هي أيضًا كان يجب أن تُنتزع من اللحد وتنضمَّ الأمُّ إلى ابنها. وكما نزل هو إليها، هكذا هي نفسها محطُّ حبّه كان يجب أن تُنقل إلى «المسكن الأعظم والأكمل»، إلى «السماء بعينها».

كان يجب أن تأتي لتسكن في مظال ابنها، تلك التي قدّمت ملاذًا للكلمة الإلهيّ في حشاها. وكما قال الربّ إنّه سيكون في مسكن أبيه الخاص، هكذا كان يجب أن تسكن الأمّ في بَلاط ابنها، «في بيت الرب وفي ديار بيت إلهنا». لأنه إذا كان ها هنا «مسكنُ جميع الفرحين» فأين ستسكن إذًا علّة الفرح؟

كان يجب أن تحفظ جسدَها بلا فساد، وحتى بعد موتها، تلك التي حفظت بتوليَّتَها كاملةً في الولادة.

كان يجب أن تسكن في المظالّ السماويّة تلك التي حملت خالقها طفلاً في حشاها.

كان يجب أن تأتي لتسكن في خدر الزواج السماوي، العروسُ التي اختارها الآب لنفسه.

كان يجب أن تشاهد ابنها جالسًا بقرب أبيه، من قد شاهدته على الصليب متقبّلةً بذلك في قلبها سيف الألم الذي تركها في ولادتها.

كان يجب أن تتسلّم والدةُ الإله خيرات ابنها وأن تكرّمَها كل الخليقة كأم لله وأَمَة له. فالميراث يمر دومًا من الوالدين إلى الأولاد؛ وأمّا ها هنا، واقتباسًا لعبارة أحد الحكماء، فينابيع النهر المقدّس ترتقي ثانيةً إلى أصلها؛ وذلك لأن الإبن قد أخضع

الإنجيل

(متى ١٧: ١٤-٢٣)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوعَ إنسانٌ فجثا لهُ وقال يا ربُّ ارحم إبني فإنَّهُ يُعذَّبُ في رؤوس الأهلَّةِ ويتألَّمُ شديدًا لأنَّهُ يقعُ كثيرًا في النار وكثيرًا في الماءِ* وقد قدَّمْتُهُ لتلاميذِك فلم يستطيعوا أنْ يَشْفوه* فأجابَ يسوعُ وقال: أيُّها الجيلُ الغيرُ المؤمنِ الأعوجُ إلى متى أكونُ معكم. حتَّى متى أحتملُكم. هلمَّ بهِ إليَّ إلى ههنا* وانتهرهُ يسوعُ فخرجَ منهُ الشيطانُ وشُفي الغلامُ من تلكَ الساعة* حينئذٍ دنا التلاميذُ إلى يسوعَ على انفرادٍ وقالوا لماذا لم نستطِعْ نحن أنْ نُخرجَهُ* فقال لهم يسوعُ لِعَدَمِ إيمانِكم. فإنّي الحقَّ أقولُ لكم: لو كانَ لكم إيمانٌ مثلَ حبَّةِ الخردلِ لكنتم تقولون لهذا الجبلِ انتقِلْ من ههنا إلى هناك فينتقِلُ ولا يتعذَّرُ عليكم شيءٌ* وهذا الجِنسُ لا يخرجُ إلاَّ بالصلاةِ والصوم* وإذ كانوا يتردَّدون في الجليل قال لهم يسوعُ إنَّ ابنَ البشرِ مزمعٌ أن يُسلَّمَ إلى أيدي الناس* فيقتلونهُ وفي اليوم الثالث يقوم.

حول الرسالة

إن بولس، كان ينزع إلى الرغائب الشريفة دون سواها. أمر واحد كان

يروّعه فيهرب منه وهو إهانة الله لا غير. ولا شيء كان أشهى لديه من إرضاء الله. وهذا القول ينطبق لا على الأمور الحاضرة فقط بل على المستقبلة أيضًا. فلا تحدّثه عن المدن ولا عن الشعوب ولا عن الملوك ولا عن الجيوش ولا عن الأسلحة ولا عن الأموال ولا عن ولاية ولا عن سلطة: فإن بولس لم يعتبرها حتى ولا كنسيج العنكبوت! بل انتقِلْ به إلى ما في السموات وعندئذٍ ترى كيف اضطرم حبُّه للمسيح. إن هذا الحب قد سحر فؤاده فلم يعد يلتفت إلى مقام الملائكة ورؤساء الملائكة ولا إلى أي شيء آخر، لأنه إذا كان يحوي في داخله أعظم الأشياء أي حبَّ المسيح، احتسب نفسه أسعد خَلق الله قاطبة. فبدون هذا الحب لا يروم أن يكون في رتبة الملائكة أو الرئاسات أو السُّلطات. ولكنه، مع هذا الحب، يؤثر أن يكون من أحقر البشر بل من القوم الهالكين، على أن يكون من عِلْية الناس وأشرافهم بدونه. فالحرمان من ذلك الحب هو العذاب الوحيد في نظره، هو جهنم، هو العقاب الرائع، هو الشرّ الذي لا يُطاق. أما الحصول عليه فهو النعيم، هو الحياة، هو العالم، هو الملائكة، هو الحاضرات، هو المستقبلات، هو المُلْك، هو تمام الوعود، لوالدته الخليقةَ بأسرها».

الاعتراف (تابع)

«إذا رجع الِشرير عن شرِّه الذي فعل وعمل حقًا وعدلاً فهو يُحيي نفسه... من أجل ذلك توبوا وارجعوا عن كل معاصيكم ولا يكون لكم الإثمُ مَهْلكةً... لأني لا أُسَرُّ بموتِ من يموتُ يقول السيد الرب. فارجعوا واحيوا» (حز ١٨: ٢٧ و٣٠ و٣٢).

جهاد الإنسان المؤمن طيلة حياته أن يحافظ على نقاوة حلّة المعمودية البيضاء إلى اليوم الذي يسمح فيه الرب أن يُسلم الروح وينتقل إلى دنيا الآخرة. الإنسان يجاهد من جهة ليدخل الملكوت ، والشرير يدأب من جهة أخرى ليوقعه في الخطيئة ليبعده عن الملكوت. لكن الله الذي لا يشاء موت الخاطئ بل الذي يريد «ان جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون» (١تيمو ٢: ٤) رتب لنا أن نتوب بعد أن نخطئ، ونعود إلى أحضانه فيستقبلنا ويذبح لنا العِجل المسمَّن. نعود ونعترف بخطايانا إلى الله عبر كنيسته، أي عبر الاعتراف للكاهن الذي يمنحنا الحل من الخطايا ويرشدنا لكي نتخلَّص من أمراضنا الروحيَّة. نعترف لنعبّر عن توبتنا الحاصلة في القلب ونحصل على الغفران ولا نعود نخاف من يوم الآخرة.

لا يحاول الشيطان أن يوقع بنا فقط، بل يسعى أن يبعدنا عن التوبة والإعتراف عبر زرعه الشك في نفوسنا بأن الله لا يسامح ولا يغفر. من يقرأ الكتاب المقدس يلاحظ عدم صحة هذه التجربة. مَثَل الإبن الشاطر (لو ١٥: ١١–٣٢) أفضل نموذج للتوبة ولاستقبال الله للخطأة التائبين. عندما قرر الإبن أن يعود إلى أبيه بعد أن خانه لسنوات طويلة، كان الأب بانتظاره، إذ عندما أطل الإبن من بعيد، ركض الأب باتجاهه ورمى بنفسه على عنق ابنه وألبسه الحلَّة الجديدة ووضع في يده خاتمًا جديدًا دلالة على العهد الجديد، وذبح له العِجل المسمَّن. مَثَلُ الإبن الشاطر في إنجيل لوقا يأتي ضمن سلسلة أمثال ثلاثة (لوقا ١٥) موضوعها التوبة وعودة الخاطئ إلى أحضان الآب. في المثَلين الآخرين يترك الراعي خرافه التسعة والتسعين سعيًا وراء الخروف الضال، كما ان الأرملة تضيئ القنديل لتفتش عن الدرهم الضائع ومتى وجدته تدعو الجيران لتحتفل بوجود الدرهم، فتصرف أكثر من قيمة الدرهم الذي وجدته. وكلُّ هذا لتعليمنا: «هكذا أقول لكم يكون فرحٌ قدَّام ملائكةِ الله بخاطئ واحدٍ يتوبُ» (لو ١٥:١٠). المهم أن نتوب قبل أن يدركنا الموت، ولا نخاف فإن الله رحيم يقبل توبة الجميع.

قلنا سابقًا ان التوبة والإعتراف متلازمان. لا توبة بدون اعتراف. أيضًا هنا يحاول الشيطان أن يخدعنا بإقناعنا ان الإنسان لا يحتاج إلى واسطة بينه وبين الله، وعلى الإنسان أن يجري مراجعة لضميره كل عشيَّة ويعترف بينه وبين الله. وكما قلنا في العدد الماضي، ان مهمة الكاهن أن يرشدك في الطريق القويم ويساعدك على التخلُّص من مرضك الروحي. الكاهن شخص اختبر الحياة الروحيَّة وتعاطى الإرشاد مع غيرك وتعلَّم من خبراته، لذا فهو يستطيع بالتأكيد أن يساعدك. أما القول انه إنسان خاطئ أيضًا فكيف أعترف له. فهو وهم يضعه أمامك الشرير لكي يبعدك عن الله أولاً ثم عن الكنيسة. إنه التعلُّل بعلل الخطايا. يجعلنا الشرير نتحجج بخطايا الكاهن لكي لا نتوب. هكذا فعل آدم في الفردوس عندما سأله الله عمّا فعله، أجاب الله: «المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت» (تك ٣: ١٣). ألقى

آدمُ اللومَ على الله وعلى المرأة لكي يتهرب من فعلته. هكذا نحن نتلهى بخطايا الكاهن لكي نتغاضى عن خطايانا ونسترها. نختبئ وراء خطايا الغير. ولكن من أجل الحق، الله سوف يدين الجميع في اليوم الأخير بمن فيهم الكاهن. وبالتأكيد دينونة الكاهن على خطاياه أكبر من دينونة الجاهل، لأنه يعرف أكثر. المهم أن نهتم بأنفسنا ونسعى إلى خلاص روحنا، والله يتدبر أمر الناس بمن فيهم الكاهن. سؤال أخير نطرحه على من يطلقون هذه الحجة: ألا نقصد الطبيب ليعالجنا من أمراضنا الجسدية ونحن نعلم انه يمرض أيضًا ويموت؟

قد تكون كل الحجج أعلاه تعبيرًا خفيًا عن خوف من الكاهن يزرعه الشرير فينا، فنسأل أنفسنا: ماذا لو أخبر الكاهن خطايانا للآخرين؟ كيف سينظر إليَّ الكاهن عندما ألتقي به في الطريق؟ أين عنفواننا؟ أين كرامتنا؟

المشكلة هي اننا في الإعتراف نقف أمام شخص مثلنا، إنسان مثلنا، وهذا ما يجعلنا نخجل من البوح بخطايانا، فنطلق الحجج يمينًا ويسارًا لنخفي خجلنا. وهذا ما يجعلنا نخاف من نظرته إلينا. الكاهن أب، مهمته أن يلدنا بالمسيح، والأب لا يريد السوء لأبنائه وبناته، بل يسعى بكل طريقة لكي يساعدهم. فلا خوف إذًا من أن يبوح بما اعترفنا له به، لأنه لن يبوح ولن يتعاطى معنا إلا كأبناء. على كل حال القوانين الكنسيَّة تمنع الكاهن من البوح بالاعترافات.

ألا نشعر في كثير من الأحيان بالحاجة إلى صديق نقول له أمورنا الخاصة ومشاكلنا وحتى هفواتنا. نضع مصيرنا بين يديه ونأتمنه على أسرارنا وحياتنا الأرضيَّة. نثق به ولا نخاف من نظرته لنا وبوحه بأسرارنا. إذا كنا نثق بصديق أرضي فكيف لا نذهب إلى الكاهن، حامل النعمة المقدَّسة، ونضع بين يديه أسرارنا وحياتنا الأرضيَّة والملكوتية أيضًا. لماذا نخاف أن يُفشي الكاهن سرَّنا ولا نخاف ممن نسميه صديقًا؟ المشكلة اننا نخاف من أن يقول لنا الكاهن في بعض الأحيان ان ما نقوم به خطأ، ويجب عدم الاستمرار به، بينما «الصديق» يجارينا ولا يريد أن يجرح شعورنا ويوافقنا على ما نقوم به. هذا لا يعني ان كل الأصدقاء لا يقولون الحق. إنما هم قلَّة. ليكن الكاهن صديقك وابنِ علاقة ثقة معه.

أخيرًا، مهم جدًا أن نعي اننا في الإعتراف نذهب إلى الكاهن لنقول له خطايانا نحن وليس أخطاء غيرنا وهفواتهم. خطأ جسيم أن نتلهى بأخطاء غيرنا فنتلهى عن خطايانا. قد لا يستطيع المؤمن أن يتذكر كل شيء فعله في جلسة الإعتراف الواحدة. صحيح، لكن الله يغفر إذا جئنا بصدقٍ وحاولنا بكل جوارحنا أن نتذكر كل ما فعلناه ونعترف بصدق. عبر الصدق والإخلاص الكاملين يغفر لنا كل ما فعلناه، حتى ما نسيناه. أما إذا أخفينا الخطايا عمدًا، وان كانت صغيرة، فلن نحصل على الغفران لأننا لم نتب عنها.

رقاد السيدة

بمناسبة عيد رقاد سيدتنا والدة الإله يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الثلاثاء ١٤ آب ٢٠٠١ وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الأربعاء ١٥ آب ٢٠٠١ في كنيسة نياح السيدة في رأس بيروت.

هو الخيرات التي لا تحصى. وكل ما يؤدي إليه فبولس لا يعتبره شيئًا ولا يُحْدِث في نفسه لا حزنًا ولا فرحًا. بل انه لا يأبه لكل المنظورات كما لا يأبه للعشب اليابس. ينظر إلى الحكام الظالمين وإلى الشعوب الثائرة نظرَهُ إلى بعوض حائم... الموت والعقوبات والأعذبة المبَرِّحة ما دام يكابدها لأجل المسيح فإنما هي لعب أولاد. إنه يتشوّق إليها، انه يفتخر بقيوده أكثر مما لو عصَبَ هامته بتاج نيرون. كان يسكن في السجن سكناه في السماء ويتلذَّذ بالجراح والجلدات أكثر من أولئك الذين يتهافتون على المكافآت. لم يكن يحب الشدائد أقل من الجوائز لأنه كان يعتبر الشدائد خير جائزة له. ولذلك كان يدعوها نعمة وعطية كريمة. تقصَّ جيدًا تجدْ أن جائزته الوحيدة هي أن ينحلَّ ليكون مع المسيح (في ١:٢٣). أما التلبُّث في الجسد فعناء وجهاد، بيد أنه يفضِّله ويزعم أنه أشد لزومًا. لقد كان يشعر أن الانفصال عن المسيح إنما هو جهاد ومشقّة بل أشدُّ جهادٍ ومشقّة، وأن الاتصال به هو خير ما تتوق إليه نفسه. ومع ذلك فقد آثر الانفصال عن المسيح لأجل المسيح.

القديس يوحنا الذهبي الفم